



With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"قدوشيم" هو النص الأسبوعي السابع من كتاب "فَيَقْرَأ" (أي سفر اللاويين)، وهذا النص الأسبوعي يبدأ من الآية الأولى من المقطع التاسع عشر، وتنتهي بالآية السابعة والعشرين من المقطع العشرين.

## الاتباع

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

يبدأ نص "قدوشيم" بسلسلة من الوصايا المذهلة التي تُضيء طبيعة القيادة في الديانة اليهودية، وطبيعة الاتباع أيضًا. هذه الوصايا هي جزء من "قانون القداسة" في سفر اللاويين، وهو مجموعة من الوصايا التي تُشكل قلب الرؤية التوراتية لحياة يسودها النقاء والعدالة والإيمان. وفي هذا السياق، فلنقرأ الوصية التي وردت في الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة من المقطع التاسع عشر من سفر اللاويين:

"لَا تَشْنَأْ (تكره) أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ، بَلْ عِظْهُ وَعَظًا، وَلَا تَحْمِلْ عَنْهُ وِزْرًا. لَا تَنْقُمْ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى قَوْمِكَ، وَأَخِيبْ لِصَاحِبِكَ مِثْلَ نَفْسِكَ. أَنَا اللَّهُ أَجَازِيكَ خَيْرًا".

وقد فُسِّرَت هذه الكلمات المكتوبة بالخط العريض، أي "عِظْهُ وَعَظًا وَلَا تَحْمِلْ عَنْهُ وِزْرًا"، بطريقتين مختلفتين تمامًا، واعتبر الحاخام موشيه/موسى بن ميمون، المُلقَّب بـ"رمبام"، كلتا الطريقتين واجبتين في الشريعة اليهودية.<sup>1</sup> كذلك، أوردهما الحاخام موشيه بن نحمان، المعروف بـ"رمبان"، في تفسيره للتوراة، وتحديدًا في شرحه للآية السابعة عشرة من المقطع التاسع عشر من سفر اللاويين.

تفهم الطريقة الأولى هذه الوصية في إطار العلاقات بين الأشخاص. فإذا كنت تعتقد أن أحد الأشخاص قد أساء إليك، تقول لك التوراة في هذه الحالة: لا تَكْتُم الغضب في قلبك، ولا تستسلم للكراهية، ولا تحمل حقدًا ولا تنتقم، بل واجهه وصارحه، وحواره حوارًا عقلانيًا تشرح له فيه كيف تشعر أنه أخطأ بحقك وأذاك. فقد يعتذر ويسعى لإصلاح خطئه،

1. Mishneh Torah, Hilkhhot Deot 6:6–7 راجع

لكن حتى وإن لم يعتذر، تكون في هذه الحالة قد أفرغت ما في صدرك على الأقل، وذلك في حد ذاته يُشكل نوعاً من التطهير (Catharsis)\*، الذي يُفَرِّغ القلب من المشاعر السلبية ويمنع تراكم الشعور بالظلمة.

أما الطريقة الثانية في التفسير، فتتنظر إلى الوصية من منظور غير شخصي، فلا تتعلق المسألة هنا بأنك تعرضت للأذى، بل بأنك رأيت إنساناً يتصرف بشكل خاطئ، أو يقترف ذنباً أو يرتكب جريمة. فقد لا تكون أنت الضحية في هذه الحالة، بل مجرد مشاهد. وبحسب هذا التفسير، تأمرنا التوراة ألا نكتفي بالحكم السلبي الذي نُضِمُّهُ في قلبنا على سلوك أخينا، إذ تقول: "لَا تَشْتَأْ (تكره) أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ"، بل تدعونا إلى أن نتدخل في المسألة ونصارحه، فنُعَاتِبُهُ بِرَفْقٍ وَنُبَيِّنَ لَهُ، بِالطَّيِّفِ مَا نَسْتَطِيعُ، أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ يَتَنَافَى مَعَ الشَّرِيعَةِ، سواء أكانت مدنيّة أم أخلاقيّة. لكن إن التزمنا الصمت ولم نفعل شيئاً، نُصْبِحُ شُرَكَاءَ لَهُ فِي الْإِثْمِ، أَي نَحْمِلُ "عَنْهُ وَزْراً"، لأننا رأيناه يقوم بأمرٍ خاطئ ولم نفعل شيئاً للاعتراض عليه.

ولا يُمكن فهم هذا التفسير الثاني إلا انطلاقاً من مبدأ أساسي في اليهوديّة يقول: "كول إسرائيل عريفيم زيه بازيه"، أي إن كل أفراد بني إسرائيل، أي اليهود، مسؤولون عن بعضهم البعض (التلمود، باب "شَفُوعوت"، 39 أ)، فكل فرد مُلَزَمٌ لا أن يصلح نفسه فحسب، بل مُجتمعه أيضاً. ومع ذلك، يُقدِّم التلمود لنا ملاحظة رائعة في توضيحه على من تنطبق هذه الوصية، كما ورد في باب بافا متسيعا 31 أ: "تقول التوراة: 'هُوقِيعُ تُوَقِيع'، أي عاتب صاحبك مراراً، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا تكرر الفعل مرتين؟ لأنّه لو ورد الفعل مرّة واحدة فقط، لظننا أنّ الحكم يقتصر على المُعلِّم الذي يُعَاتِبُ تلميذه. فكيف علمنا أن هذه الوصية تنطبق أيضاً على التلميذ الذي يعاتب مُعلِّمه إذا رآه وهو يُخطئ؟ من التكرار الذي تحمله عبارة 'هُوقِيعُ تُوَقِيع' التي تدلُّ على أن هذه الوصية قائمة في جميع الأحوال وتحت كل الظروف".

وتكمُنُ أهميّة هذا النصّ في أنّه يُؤسِّسُ مبدأً جوهرياً في الفكر اليهودي، هو مبدأ الاتّباع بشكلٍ نقديٍّ وواعٍ وبنّاء، بعيداً عن التبعية العمياء. حتى الآن، ركّزنا في هذه المقالات على دور القائد في الديانة اليهوديّة، لكن ماذا عن دور التابع؟ للوهلة الأولى سنجيب بأن واجب التابع هو أن يتبع، وواجب التلميذ أن يتعلّم. فاليهوديّة تُوصي بتوقير المُعلِّمين توقيراً عظيماً يكاد يكون بلا حدود، وقد قال الحكماء في الـ"مِشناه" باب أفوت 4:12: "لِيَكُنْ تَبْجِيلُكَ لِمُعَلِّمِكَ كَتَبْجِيلِكَ لِلسَّمَاءِ". ومع ذلك، يُعلِّمنا التلمود أنّ التوراة تأمرنا بأن نُعَاتِبَ حتى المُعلِّم أو القائد إن رأيناه يرتكب خطأ، لأن الصمت أمام الخطيئة ليس طاعة بل تواطؤاً معها، والتبعية العمياء ليست فضيلة بل تخلّي عن الأمانة والمسؤولية.

إذا أمَرَكَ قائدٌ أن تفعل ما تعلم أنّه مُحَرَّمٌ في شريعة الله عزّ وجلّ، فهل تُطيع؟ الجواب هو لا بشكلٍ قاطع. يُعَبِّرُ التلمود عن هذا المبدأ في شكلٍ سؤالٍ بلاغيٍّ، كما ورد في باب "قيدوشين" 42 ب: "دِفְרِي هَرَفٌ وَدِفְرِي هَتْلَمِيد؛ دِفְرِي مِي شومعين؟" أي إذا تعارضت كلمة السيّد، وهو الله عزّ وجلّ، مع كلمة التلميذ، وهو القائد البشري، فمن منهما يجب أن نطيع؟ والجواب واضح: نُطيع الله عزّ وجلّ. وهنا تتجلى في الشريعة اليهوديّة أُسُسُ العصيان المدني، أي أنّ علينا واجباً أخلاقياً في أن نرفض طاعة أيّ أمرٍ غير أخلاقيٍّ يتعارض مع وصايا الله عزّ وجلّ. ومن هنا، تنبثق أيضاً الفكرة العظيمة في اليهوديّة عن الحوار والنقاش الهادف والتساؤل البنّاء، كما ورد في الـ"مِشناه" باب أفوت 5:21: "مَخْلُوقَتِ لِيْشَمِ شَمَائِم"، والتي تعني حرفياً "الجدل من أجل السماء"، أي الجدل الصادق من أجل الوصول إلى الحقيقة الإلهيّة.

فالآباءُ مُلَزَمُونَ، والمعلّمون مُشَجَّعون، على تربية الأبناء والطلاب على طرح الأسئلة. وقد تشكّل التعليم اليهودي التقليدي بصورة تجعل المُعلِّم والتلميذ معاً يُدركان أنّ أكثر من رأي واحد قد يكون صائباً في أيّ مسألةٍ فقهية، وأنّه يُمكن أن تكون هناك تفسيرات متعدّدة لأيّ آيةٍ توراتيّة، وهناك قولٌ مشهورٌ يقول بأنّ للتوراة "سبعين وجهاً". وتنفرد اليهودية بكون جميع نصوصها المحورية، من الـ"مِدراش" إلى الـ"مِشناه" والـ"غماراه"، هي عبارة عن مجموعات تضمّ نقاشات الحاخامات، حيث يردّ فيها أنّ حاكماً قال هذا الرأي وأنّ حاكماً آخر قال رأياً آخر، أو هي نصوصٌ محاطةٌ بشروح متعدّدة، لكل واحدٍ منها وجهة نظرٍ خاصّة.

\*ملاحظة توضيحية من المترجم: ترد نظرية التطهير في كتاب أرسطو "فن الشعر"، والتي تنصّ على أنّ المشاعر التي تثيرها فينا الأعمال الفنيّة والدراميّة، مثل الشفقة والخوف، تساعدنا على التنفيس عن العواطف وتهذيبها وتطهير النفس من العواطف السلبية والضاورة.

أما اليهودية الحاخامية فهي اليهودية التي تبلورت بعد زمن الهيكل الثاني على يد الحكماء من الحاخامات، وفيها غدا محور العبادة والهوية هو دراسة التوراة والفقه وال"هالاخاه" والعيش في ضوء ذلك، وتبوء التلمود وأساليبه في الجدل والتحليل مكانة مركزية فيها. وهكذا، يُنظر إلى فعل التعلم ذاته في اليهودية الحاخامية بوصفه جدلاً فعلاً، أشبه بـ"مبارزة ذهنية"، كما نقرأ في باب "قيدوشين" 30 ب: "إن المعلم والتلميذ، وحتى الأب والابن، حين يجلسان ليدرسا التوراة معاً، يُصبحان أشبه بخصمين، لكنهما لا يغادران مكانهما إلا وقد صارا حبيبتين". ومن هنا جاء القول التلمودي الوارد في باب تعנית 7 أ: "تعلمت الكثير من مُعلمي، وتعلمت أكثر من زملائي، غير أن أكثر ما تعلمته كان من تلاميذي". وبناءً على ذلك، نحن لا ندين لمعلمينا بالتبجيل العظيم فحسب، بل ندين لهم كذلك ببذل قصارى جهدنا في طرح الأسئلة عليهم وتحدي أفكارهم ونقدهم ومراجعتهم، لأن ذلك هو أمر جوهري في المفهوم المثالي للتعلم في الفكر الحاخامي، بوصفه سعيًا مشتركًا إلى الحقيقة.

وقد أدت فكرة الاتباع النقدي والبتاء في اليهودية إلى ظهور أول نُقَاد اجتماعيين في تاريخ البشرية، أعني الأنبياء، الذين كلفوا من الله عز وجل أن يقولوا الحق في وجه أصحاب السلطة وأن يستدعوا حتى الملوك إلى محكمة العدل والاستقامة. وهذا ما فعله النبي شموئيل/صموئيل مع الملك شاؤول/شاؤول، والنبي إيلياهو/إلياس مع الملك أحاب/أخاف، ويشعياهو/إشعيا مع الملك حزقياهو/حزقيا، ولم يبلغ أحد مبلغ النبي ناتان/ناتان حين جعل الملك دافيد/داوود يُدرك فداحة ذنبه حين جامع زوجة رجل آخر. فأقر دافيد بخطيئته على الفور، قائلاً: "خطأتي"، أي "قد أخطأت"، كما ورد في الآية الثالثة عشرة من المقطع الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني.

على الرغم من عظمة أنبياء إسرائيل، تأتي عظمة إنجازاتهم في المرتبة الثانية بعد واحدة من أروع الظواهر في تاريخ الأديان، وهو أن الله يختار أحب أتباعه من أولئك الذين يملكون شجاعة تحدي السماء وطرح الأسئلة عليها. فكما ورد في الآية الخامسة والعشرين من المقطع الثامن عشر من سفر التكوين يقول أفراهام/إبراهيم مخاطباً الله عز وجل: "أحكيم جميع العالم، لا يعمل بالحكم؟"، والتي تعني أن حاكم الأرض وقاضيه، وهو الله عز وجل، لا ينبغي أن يحكم إلا بالعدل. ثم نقرأ في الآية الثانية والعشرين من المقطع الخامس من سفر الخروج أن نبي الله ورسوله موسى يقول لله عز وجل: "لم أبلّيت هؤلاء القوم؟". وقد تجرأ النبيان يرمياهو/إرمياء وحفاكوك/حَبَقُوق على مخاطبة الله عز وجل ومُجادلته بشأن ما بدا لهما ظُلماً في مجرى التاريخ وأحداثه، وجادل إيواف/أيوب ربّه طويلاً، ثم برّأه الله في النهاية، بينما اعتبر الله عز وجل أن أصحابه الذين واسوه ودافعوا عن الله كانوا على خطأ. وخلاصة الأمر أن الله عز وجل يختار أتباعاً فاعلين ناكدين، لا مُطيعين صامتين.

ومن هنا نصل إلى الاستنتاج اللافت بأن الاتباع في الديانة اليهودية هو دور لا يقل في الفعالية والمسؤولية المناطة به عن القيادة نفسها. بل نستطيع أن نقول ذلك بعبارة أوضح: القادة والأتباع لا يجلسون على جانبيين متقابلين من الطاولة، بل هم في جانب واحد، حيث العدل والرحمة والخير العام. فلا أحد فوق النقد، ويُمكن لأي شخص، مهما كان عمره أو خبرته أو مكانته بين الناس، أن يمارس حقه في الانتقاد، ما دام يفعل ذلك بأدب وتواضع. فالتلميذ يستطيع أن يوجه النقد لمعلمه، ويُمكن للابن أن يناقش والده، وللنبي أن يحاسب الملك، ونحن جميعاً، بمجرد أننا نحمل اسم "إسرائيل"، مدعوون إلى أن نُجاهد مع الله والناس من أجل الحق والخير، كما ورد في الآية التاسعة والعشرين من المقطع الثاني والثلاثين من سفر التكوين: "لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت".

إن الاتباع الأعمى والعادات القائمة على الطاعة بصمت ودون نقاش، هما أصل الفساد في السلطة، وأحياناً سبب الكوارث التي كان يمكن تجنبها. فبين عامي 1970 و1999، وقعت سلسلة من الحوادث الجوية المميتة لطائرات الخطوط الجوية الكورية، وكانت واحدة منها، وهي رحلة "كوريان إير" رقم 8509 في كانون الأول/ديسمبر سنة 1999، سبباً في

مراجعة وتقييم الأحداث والذي خلص إلى أنّ الثقافة الكوريّة، بميلها نحو القيادة الاستبداديّة والتبعيّة المفرطة في التوقير، قد جعلت مساعد الطيار يتردّد في تحذير قائد الطائرة من أنّه خرج عن المسار.<sup>2</sup>

ومثالٌ آخرُ هو الرئيس الأمريكيّ الراحل جون ف. كينيدي، الذي جمع حوله مجموعة من المستشارين كانت من بين الألمع في تاريخ الرئاسة الأمريكيّة، ومع ذلك، ارتكب واحدًا من أحمق الأخطاء السياسيّة في غزو "خليج الخنازير" في كوبا عام 1961. لاحقًا، كتب أحد أعضاء تلك المجموعة، وهو آرثر شليزنغر جونيور، أنّ الخطأ الذي حصل كان سببه أنّ الأجواء داخل المجموعة كانت وديّة لدرجة لم يرغب فيها أيُّ أحدٍ أن يُعكّر صفوها بالإشارة إلى حماقة ذلك الاقتراح.<sup>3</sup>

إنّ "تفكير القطيع" والامتثال الجماعيّ الأعمى، خطران دائمان يهددان كلّ جماعة مترابطة بشكلٍ وثيق، كما أكّدت سلسلة من التجارب الشهيرة التي أجراها عددٌ من علماء النفس الاجتماعيّ، من بينهم سولومون آش وستانلي ميلغرام وفيليب زيماردو، وقد تطرّقنا إلى بعض هذه التجارب في دراستنا لنصّ "ليخ ليخا"، ولهذا قال كاس سنستين بوضوح: "إنّ المجتمعات تحتاج إلى أصوات الاعتراض".<sup>4</sup>

ومثالٍ المفضّل في هذا السياق ما أورده الصحفيّ الأمريكيّ جيمس سوروبكي في كتابه *The Wisdom of Crowds* أي "حكمة الجماهير"، حيثُ يروي قصّة عالم الطبيعة الأمريكيّ ويليام بيبي، الذي شاهد في أدغال غيانا منظرًا غريبًا لمجموعة من "نمل الجيش"، تُشكّل دائرة ضخمة تدور فيها بلا توقّف لمدّة يومين، حتّى سقط معظمها ميتًا. والسبب في ذلك هو أنّ جماعات نمل الجيش، حين تنفصل عن مستعمرتها، تسير وفق قاعدة واحدة بسيطة: اتّبع النملة التي أمامك. ولكن إن كانت النملة التي أمامك تائهة، فسوف تنبيه أنت أيضًا.<sup>5</sup>

ويُظهر هذا المثال المعنى العميق الذي أشار إليه سوروبكي، وهو أنّنا نحتاج إلى الأصوات المعارضة، إلى أولئك الذين يتحدّون الحكمة السائدة، ويُعارضون الإجماع السائد، ويُقلّقون الراحة الزائفة للفكر حين يستكين ويتواطأ مع الإجماع. فالعقلية التي تقول "اتّبع الشخص الذي أمامك" خطيرة على البشر كما هي على النمل. أمّا القدرة على الوقوف جانبًا، والتساؤل عن الوجهة التي يقودنا إليها القائد، فهي جوهر الاتّباع بشكلٍ واع وناقِد وبناء. إنّ القيادة العظيمة لا تتحقّق إلّا حين يكون هناك أتباع أقوياء مستقلّو الفكر، ولذلك فإنّ التقدّ البتاء قد يأتي من تلميذ ينتقد مُعلّمه، كما قد يأتي من نبيٍّ يُوبّخ أحد الملوك.

2. Malcolm Gladwell, *Outliers: The Story of Success* (New York: Little, Brown and Co., 2008), 177–223.

3. See Cass Sunstein, *Why Societies Need Dissent* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 2003), 2.

4. Ibid. نفس المصدر.

5. James Surowiecki, *The Wisdom of Crowds* (New York: Doubleday, 2004), 40–41.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion

